

المحاضرة السابعة: النقد الثقافي

تمهيد:

تزامن ظهور النقد الثقافي مع التغيرات التي عرفتها الساحة النقدية الغربية في النصف الثاني من القرن العشرين ، حيث ظهرت تيارات ما بعد البنيوية وما بعد الحداثة وما بعد الاستعمار، أي تقريبا التي كانت آنذاك تضع لبناتها الأولى في إعادة قراءة خطاب الحداثة، مفصحة عن بروز وعي جديد راح يتزايد مع الوقت، ويهتم بالتفاصيل التي تحاصر الانسان المعاصر،

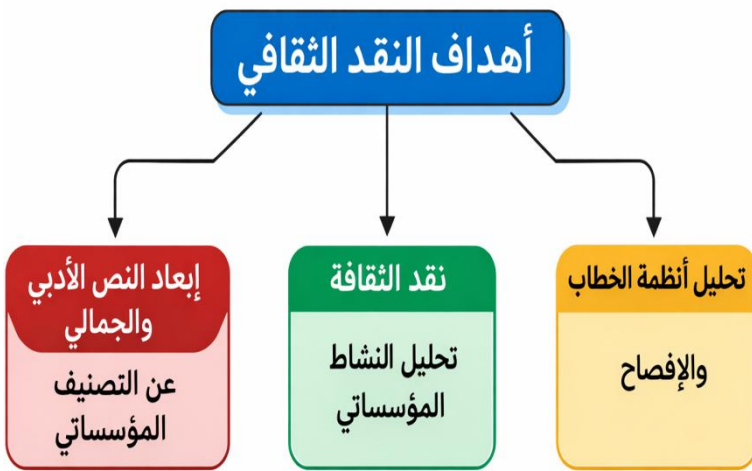
ظهر النقد الثقافي نتيجة التحولات التي شهدتها العلوم الإنسانية والاجتماعية. وقد أثار تساءلات واسعة في مجال الدراسات النقدية لما أحدثه من انقلاب في الحركة النقدية المعاصرة، إذ عمل على بناء تصور نقدي جديد يعنى بالنظ الثقافية والأنساق المضمرة واللواعية في الأعمال الابداعية¹ ، وقد جاء كردّ فعل على هيمنة المناهج الشكلانية والبنيوية التي ركّزت على البنية الداخلية للنص الأدبي وأهملت علاقته بالسياق الثقافي والاجتماعي. لذلك سعى النقد الثقافي إلى توسيع مجال القراءة، فانتقل من دراسة النص بوصفه بنية جمالية مغلقة إلى النظر إليه باعتباره حاملاً لأنساق ثقافية وإيديولوجية تعكس بنية المجتمع وقيمه، {والوصول الى هذه الدلالات ينبغي على النقاد المنتهي للنقد الثقافي أن يحلل النص وبأوله ضمن السياق الثقافي الذي أنتجه أولاً ويزر أثر ذلك غير المباشر على بنية الثقافة الجمعية ثانياً}²

ظهر خلال السبعينات من القرن العشرين، في مقال شهيرة لأدورنو ثيودور سنة 1949، بعنوان النقد الثقافي والمجتمع، بعدها ظهرت محاولة- هابرماس في كتابه النقد الثقافي والحوار التاريخي ، لكن كان

¹ - دوبلاس كيلير وميشيل رايمان وآخرون. مدخل الى النقد الثقافي والدراسات الثقافية، ترجمة معتز سلامة، ط1، دار المحرر للنشر والتوزيع، 2023، ص1.

² - المرجع نفسه، ص1.

اهتمامهما ذا صبغة تاريخية وفلسفية، والظهور الفعلي للنقد الثقافي كان في الثمانينات مع ظهور مجلة النقد الثقافي التي كانت تصدر في مينيسوتا في شتى المجالات الثقافية، ليتبلور منهجياً على يد ليتش فنست عام 1992 بكتابه النقد الثقافي والنظرية الأدب وما بعد البنيوية، حيث دمج مجالات انسانية في تحليلاته وعرف مختلف توجهات الفكر الغربي ، وقد حدد معالم النقد الثقافي في:



- إبعاد النص الأدبي والجمالي عن التصنيف المؤسسي
- اعتماد النقد الثقافي على نقد الثقافة وتحليل النشاط المؤسسي
- تحليل أنظمة الخطاب والإفصاح³

ظهرت أسماء أدبية عنيت بمنجزات

الحدائثة المختلفة وبمحفظاتها الدينامية التي نادت بالقطيعة مع ما سبق، مثل اليوت وفرانز كافكا، وجميس جويس وتوماس مان، وبابلو بيكاسو ونري ماتيس وايغور سرتافنسكي وغيرها من الأسماء التي كان لديها نظرة مختلفة للحدائثة على أصعدة مختلفة، الرسم والفن والموسيقى والأدب والخطابات الشعرية، وهي كلها تحاول اثبات حالة عدم الثبات والكمال للحدائثة ونقدها: إنها نوع من النفور من أشكال الاكتمال ورفض البناء السردي المنطقي والقبول بوقوع اللحظة التلقائية والرضا بالواقع على أنه ملتبس ومفتوح ومتناقض ورفض عرض الانسان على انه شخصية مكتملة متماسكة⁴، فسمات الحدائثة التي تداولت كانت تصر على الاكتمال وعلى التماسك اليقيني لكل الفرضيات، ولكن ما بعد الحدائثة قامت

³ - أنظر دوبلاس كيلير وميشيل رابان وآخرون، مدخل الى النقد الثقافي والدراسات الثقافية، ترجمة معتز سلامة، ص14 إلى ص16

⁴ - محسن جاسم الموسوي، النظرية والنقد الثقافي ، الكتابة العربية في عالم متغير واقعها سياقاتها وبنائها الشعرية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، الأردن، 2005، ص32

بنقض قيم الحداثة ومنجزاتها تحت شعار النسبية وعدم الترابط والتغير، والتسليم بعفوية السلوك البشري

فانطلقت ما بعد الحداثة من منجزات الحداثة وجمع بينهما نقاط كثيرة خاصة مبدأ الرفض والنظر الى الحالات بوصفها نزم غير مغلقة،

فعالية النقد الثقافي:

إن النقد الثقافي فعالية {تستعين بالنظريات والمفاهيم والنظريات والنظم المعرفية لبلوغ ما تأنف المناهج الأدبية المحض من المساس به أو الخوض فيه، إذ كيف يتسنى للناقد الأدبي أن يخوض في العادي والمبتذل والوضيع واليومي والسوقي بعدما تمهر كثيرا في قراءة النصوص المنتقاة والمنتخبة التي يتناقلها نقاد الأدب ودارسوه على مر العصور في سلاسة أو سلالات محكمة قوية يجري الاختلاف بشأن طبقاتها أو رفعتها لا بشأن احقيتها الأدبية أو تفاوتها القاطع مع ما يغيرها أسلوبيا⁵، وهذا يعني انه يستعين بجملة من المعارف والمفاهيم التي تقترن بالثقافة في المجتمع، فيجتمع فيها كل لانقاد ومشاريعهم مختلفة، ومنح لها فرصة للتوغل في الثقافة وقراءة الافكار والاتجاهات، فتراى الناقد الثقافي نسويا وفرويديا واجتماعيا وماركسيا ، ويمتلكون الثقافة الكونية والمعارف المختلفة والتعمق في فنون الخطاب القولي والأدبي.

من هنا نصل إلى نتيجة وساعة المفاهيم التي يستعين بها النقد الثقافي، فالحقل الثقافي توسع ليشمل عشرات النقاد الذين انشغلوا بالكتابة في الموضوع وهي تشمل تخصصات مختلفة منها ما يعود لغرانيك مارك المعنوان ب، وكتاب غريس اندرسون وكذا كتابكازي بلاك، وغيرهم، وهم منتمون الى حقول معرفية نسوية واثربولوجية وفاعلين ثقافيين نفسيين، فجاءت الاهتمامات على صعيد ماركسي وفي ضوء

⁵ - بسام قطوس، مدخل إلى مناهج النقد المعاصر، دارالوفاء لندنيا الطباعة والنشر، ط1، الاسكندرية، 2005، ص230

النظريات العلمية والاجتماعية والأنثروبولوجية الثقافية والاعلام والنسوية الثقافية والبعد النفسي وايضا حتى نظرية الأدب والعلاماتية، فقد كانت روافد متنوعة وسعت افاق النظرية الثقافية، وخلق مفاهيم ومصطلحات جديدة في الحقل النظري الأدبي،

النقد الثقافي والثقافة

ارتبط النقد الثقافي كمفهوم بمصطلح الثقافة، والثقافة {لا يمكن تعريفها بمعزل عن مجتمعاتها التي أنتجها وإذ ذلك فإن الخصوصية التي تميز الثقافة تصل بها الى حد الانغلاق من حيث خصوصيته الذاتية ومحليتها وزمنها التاريخي}⁶، فالثقافة مجال يضم سبل الحياة المختلفة من فن وعلوم انسانية واجتماعية وتتصل بالمشكلات البشرية في شموليتها، إنها {البرنامج الذي نعيش به والقواعد التي تحدد كيف نفكر ونتصرف ولكنها أيضا النص المرن والقابل لإعادة الكتابة الذي نقوم به ونعيد تصميمه وإعادة إنشائه فنحن نعيش وننتج أعمالا إبداعية ونقول أشياء إبداعية في حياتنا ونفعلها}⁷،

وقد اقترن النقد بالثقافة من حيث هو جهد فكري وعقلي، وتحول النقد مع الزمن إلى فعل ثقافي بسبب عمق الصلة الموجودة بين الأدب والثقافة والنقد، رغم أن الممارسة كانت محدودة في البداية إلى أن النقد في سعيه إلى اكتساب معارف جديدة قيد بتوصيف ثقافي مورس بشكل محدود ومغلف بثقافة لغوية وبلاغية وفنية معينة، لينشأ الناقد المثقف والنقد المثقف وثقافة الناقد وثقافة النقد، حتى ان بعض النقاد يؤكد إن {ممارسة النقد لنشاطاته المختلفة بدءا بالشرح والتفسير أو البحث عن المعنى أو القصد ومرورا بالتذوق و إبراز الجماليات ووضعها في سلم القيم الجمالية، وانتهاء بتأجيل المعنى وترك فرصة للقارئ لملء فجوات النص وفراغاته ما هي إلا ممارسة ثقافية دخلت في مملكة النقد}⁸،

⁶ - محسن جاسم الموسوي، النظرية والنقد الثقافي، ص12

⁷ - دوبلاس كيلير وميشيل رايبان وآخرون، مدخل إلى النقد الثقافي والدراسات الثقافية، ترجمة معتز سلامة، ص26

⁸ - بسام قطوس، مدخل إلى مناهج النقد المعاصر، ص228

وأضحى من الصعب فك الارتباط بينهما في ضوء توجه النقد المعاصر الى كل ما هو منفتح على خلفيات معرفية لتوسيع مدارك النقد؟

عموما فالنقد الثقافي { صرعة من صرعات الفكر الغربي في جريه ولهائه المستمر نحو تجاوز الحداثة وما بعد الحداثة وينظر إليه بوصفه مظلة واسعة تضم تحتها الاتجاهات النقدية الغربية كالتاريخانية الجديدة والمادية الثقافية وما بعد الكولونيالية والنقد النسوي ويتبنى منظرو النقد الثقافي على اختلافهم مشروعا نقديا يؤكد أهمية العودة إلى النص والإفادة من كل ما تنتجه السوسيولوجيا والتاريخ والسياسة والمؤسسية⁹ ، فظهوره في الساحة الغربية اقترن بالناقد الأمريكي ليتش الذي أراد به الإشارة الى نوع من النقد يتجاوز البنيوية وما بعدها والحداثة وما بعدها الى نقد يستخدم السوسيولوجيا والتاريخ والسياسة والمؤسسية دون أن يتخلى عن مناهج النقد الأدبي وأهم ما يقوم عليه هذا النقد هو تجاوز الأدب الجمالي الرسمي الى تناول الانتاج الثقافي أيا كان نوعه ومستواه¹⁰ ، ان ليتش يربط النقد الثقافي بتيار ما بعد البنيوية التي أفادت من مناهج التأويل المختلفة

ويركز ان الأدب بالنسبة للنقد الثقافي عبارة عن مصطلح وظيفي متغير كما انه تشكيل اجتماع تاريخي فلا كيان خاص منقطع عن غيره لهذا الأدب¹¹ ، لذا يمكن اعتباره فعالية نشيطة تقوم على تحليل الظواهر الاجتماعية والنصوص وخلفياتها الأيديولوجية، لذا فهو يستند الى نظرية ومنظومات معرفية مزاولة للنقد، خاصة ما قدمه رولان بارت عن نظرية النص وما قدمه ميشال فوكو بشأن تحليل الخطاب وكذلك علاقة الأدب بالأيديولوجيا عند بيير ماشري وتاويلات فردريك جيمسون حول صلة الأدب

⁹ - بسام قطوس، مدخل إلى مناهج النقد المعاصر، ص 229

¹⁰ - ابراهيم خليل، النقد الأدبي الحديث من المحاكاة الى التفكيك، ط 1، دار المسيرة للنشر والتوزيع، الأردن، 2003، ص 139

¹¹ - محسن جاسم الموسوي، النظرية والنقد الثقافي، ص 9

بالنواحي الاجتماعية، وما كتبه جول اويل عن السياسة الأدبية وحتى ما كتبه بورديو بشأن نقد العولمة والتعددية المكانية، مفاهيم غرامشي عن العلاقة بين المثقف والمجتمعات الإيطالية الخ¹²،

ويربط أيضا بجدور تضرب في نقد عمق المركزية الغربية، كحركة تطالب بالتعددية الثقافية التي تنبني على النسوية ازاء الذكورية وعلى السود في مقابل البيض وعلى الآخر الغير مهمش في المركزية الثقافية الغربية، ونبذ كل ما هو مؤسستي، أهم ما يقوم به هذا النقد هو تجاوز الأدب الجمالي الرسمي إلى تناول الإنتاج الثقافي أيا كان نوعه ومستواه وبالتالي فهو نقد يسعى الى دراسة الاعمال الهامشي التي طالما أنكر النقد الأدبي قيمتها أو أهميتها بحكم أنها لا تخضع لشروط الذوق النقدي

عمل النقد الثقافي منذ ظهوره المبكر على قلب المسلمات التي قام عليها النقد الأدبي خاصة مفهوم المحاكاة والتخييل وأحل محلها مجموعة من المفاهيم التي تتصل بتاريخ النصوص والجمع بينها في بعدها الشكلي والتاريخي، فهو يعيد النظر في كثير من المفاهيم التي تتصل بالنص الأدبي من حيث صلتها بالثقافة ، ساعيا الى النظر الى المهمش منها الذي تم طمسه عبر الزمن او تجاهله لأسباب كثيرة،

النقد الثقافي والدراسات الثقافية:

النقد الثقافي والدراسات الثقافية مجالان معرفيان يهتمان بدراسة الثقافة وتحليل علاقتها بالمجتمع والإنسان، فإذا كان النقد الثقافي كما رأينا مهتم باكتشاف الأنساق الخفية خلال عملية تحليل النصوص الأدبية والفكرية، مثل السلطة والهيمنة والتمييز والقيم الاجتماعية. فإن الدراسات الثقافية تعتبر مجال معرفي واسع ومتعدد التخصصات يهتم بدراسة الثقافة في المجتمع بكل مظاهرها، ليشر إلى {الدراسات التي تهدف إلى مقارنة الثقافة وبحث سماتها وأنظمتها وترتيبها، والإشارة الى مواضع الخلل بين أنماطها وأشكالها الاجتماعية والكشف عن عوامل تحول الخطاب فيها وشروطه سعيا الى خلخلة آثار

¹² - أنظر محسن جاسم الموسوي، النظرية والنقد الثقافي، ص 22/21

الهيمنة الثقافية تعمل على دراسة كل الوسائط المرتبطة بالنتاج الثقافي¹³. وتستعين هذه الدراسات بعدة علوم مثل علم الاجتماع والأنثروبولوجيا والإعلام والأدب من أجل فهم علاقة الثقافة بالهوية والسلطة والقيم الاجتماعية.

وقد ظهرت الدراسات الثقافية بشكل واضح في إنجلترا خاصة في أعمال المفكر الثقافي ستيفارت هول الذي اهتم بتحليل وسائل الإعلام والثقافة الشعبية ودورها في تشكيل الوعي الاجتماعي، بالإضافة الى ريتشارد هوغارت الذي اهتم بدراسة الثقافة الشعبية وحياة الطبقة العاملة، وأسهم في إنشاء مركز الدراسات الثقافية المعاصرة في جامعة برمنغهام. ونذكر أيضا ريموند ويليامز الذي ركّز على مفهوم الثقافة بوصفها أسلوب حياة شامل، وربط بين الثقافة والمجتمع والتاريخ، فهؤلاء المفكرون أسهموا في ترسيخ الدراسات الثقافية كحقل معرفي يهتم بدراسة الثقافة في علاقتها بالمجتمع والسلطة والهوية،



ويعتمد على تداخل عدة تخصصات مثل علم الاجتماع والتاريخ والإعلام والأدب.

وقد عملت الدراسات الثقافية على تجاوز مركزية النص الأدبي إلى الاهتمام بالخطابات المتنوعة كالنصوص المهمشة والجماهيرية، فلم تعد تنظر إليه بوصفه غاية قائمة بذاتها، بل

باعتباره مجالاً تتجلى فيه أنساق ثقافية متعددة. ومن ثم أصبح النص يُدرس من زاوية ما يكشف عنه من دلالات ثقافية واجتماعية وإيديولوجية، إذ يغدو في هذا المنظور وسيلة وأداة لفهم البنى الثقافية الكامنة التي تحكم إنتاجه وتلقيه.

¹³ - دويلاس كيلير وميشيل رايبان وآخرون، مدخل الى النقد الثقافي والدراسات الثقافية، ترجمة معتز سلامة، ص2

إن الدراسات الثقافية تعتبر النص { مادة خام يستخدم لاستكشاف أنماط معينة من مثل الأنظمة السردية والاشكالات الأيديولوجية وأنساق التمثيل وكل ما يمكن تجريده من النص }¹⁴ ويورد زيودين ساردار وبورين فان لون مجموعة من الخصائص التي تميز الدراسات الثقافية في كتابهما اقدم لكم الدراسات الثقافية:

أهداف الدراسات الثقافية باختصار:

- دراسة الممارسات الثقافية وعلاقتها بالسلطة.
- فهم الثقافة وتحليل سياقها الاجتماعي.
- الجمع بين الالتزام الفكري والبعد العملي.
- الكشف عن نوعي المعرفة: ضمنية ومحلية وعالمية.
- الالتزام بأخلاقيات المجتمع وإصلاح البناء الاجتماعي والسياسي¹⁵.

النقد الثقافي والنقد الأدبي:

النقد الأدبي	النقد الثقافي
الجانب الجمالي	عرف النقد الثقافي جدلاً واسعاً مع
النصوص الأدبية	النقد الأدبي منذ ظهوره، فهو اقترب من
التركيز عن الجمالي	باقي العلوم المعرفية الأخرى وجلب منها
التركز على النص	مفاهيم راح يؤكدتها في عملياته
	التحليلية، لكنه لم يتخلى عن النقد
	الأدبي الذي استفاد من أدواته في تحليل

النص، وجعل منها أدوات أوسع قادرة عن فتح منافذ جديدة أمام القارئ، { فالنصوص في نظر النقد

¹⁴ - عبد الله الغدامي، النقد الثقافي، قراءة في الأنساق الثقافية العربية، ط2، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2001، ص17

¹⁵ - دويلاس كيلير وميشيل رايبان وآخرون، مدخل إلى النقد الثقافي والدراسات الثقافية، ترجمة معتز سلامة، ص6-7

الثقافي ليست بلاغات مستقلة ولهذا تستعاد أدبيا قراءة الموروث والموهبة الفردية لمعرفة حدود المشاركة الفردية داخل منظومات موروثية¹⁶ ،

حاول ليتش في سياق محاولاته التنظيرية للنقد الثقافي ان يظهر الفروقات بينه وبني النقد الأدبي، وان كان يرفض ما نادى به رواد الدراسات الثقافية من ضرورة اهتمام النقد الثقافي بالثقافة الشعبية فحسب والتخلي عن دراسة الأدب ، فهو يرى ان النقد الأدبي لا يستجيب الى التفسير المعتاد او التقييم التقليدي للأعمال الادبية وغير الادبية لكنه يجنح حول السياقات الثقافية والقضايا المتشعبة منها

في حوارية صريحة جمعت الناقد العربي الغدامي مع نظيره عبد النبي اصطيف تم طرح مسألة العلاقة بين النقد الأدبي والنقد الثقافي وحاول كل منهما الانتصار لجهة، وكذا وضع النقد الأدبي اليوم في موقع السؤال عن مدى صلاحية هفي عصر يشهد تحولات معرفية عميقة، فالأدب لم يعد فنا جميلا ولغة راقية ومنتعة نفسية وقرائية فهذه سمات الأدب بمفهومه القديم، ففي الأدب نقرا الجمالي وفي النقد الأدبي نبحت عن الجمالي او ما يعيب هذا الجمالي . اما في الثقافة والنقد الثقافي فتاننا نقرا لنسق وتكشف عن تكوينات الخطاب بوصفه صناعة للأنساق وليس انشاء لنصوص¹⁷ ،

النقد الثقافي وتيار ما بعد الكولونيالية

إن تيار ما بعد الكولونيالية {لا تعني مخاصمة الكولونيالية، وإنما تعني الوعي بالثقافات الأخرى، بالهويات وبالاتجاهات وبالكتابات التي أريد لها أن تندر أو أن تطمس لتعود ثانية إلى الظهور بصفتها الأخرى أي على أساس أنها كتابات الرد القادمة من المستعمرات حاملة معها هويتها وشخصيتها وتنقيباتها في خطاب المركز}¹⁸ ، فقد ظهرت مجموعة من الخطابات التي تحاول أن تعيد كتابة التاريخ

¹⁶ - محسن جاسم الموسوي، النظرية والنقد الثقافي، ص15

¹⁷ - عبد الله الغدامي، عبد النبي اصطيف، نقد ثقافي أم نقد أدبي، ط1، دار الفكر للنشر والتوزيع، دمشق، 2004، ص 154

¹⁸ - محسن جاسم الموسوي، النظرية والنقد الثقافي، ص71

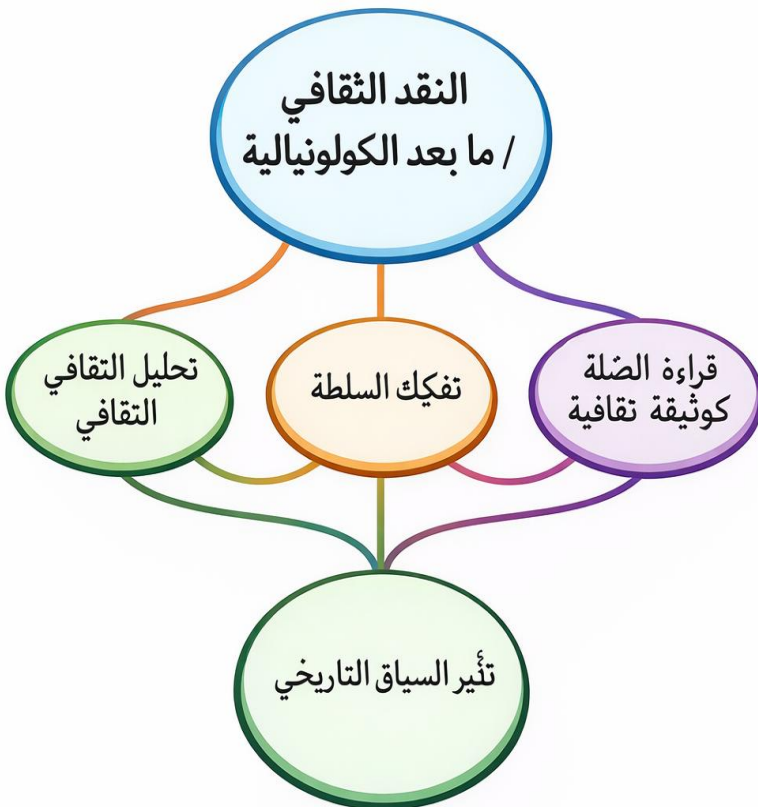
والهوية والقضايا الخاصة بأممها وبمجتمعاتها الذي سبق وأن قام المستعمر بتمثيله، لتستعيد صوتها المهمش ورغبتها الحقيقية في قول ما تريد تجاه ذاكرتها وحقيقة المستعمر، ويجدر القول هنا إن بعض هذه الخطابات التي عنبت بالرد على الآخر أعادت إنتاج هذه الرؤية الاستعمارية بدون وعي أو بوعي في خضم محاولة المقارنة بين الشرق أو الغرب أو الصراع الموجود بين الثقافتين.

يركز النقد الثقافي إذن على كشف الأنساق الثقافية المضمرة في الخطاب وتحليل العلاقات بين الثقافة والمجتمع والسلطة، بدل الاقتصار على الجماليات الأدبية. في المقابل، يهتم تيار ما بعد الكولونيالية بدراسة الآثار الثقافية والسياسية للاستعمار، وكشف كيفية استمرار الهيمنة الغربية بعد الاستقلال السياسي من خلال اللغة والأدب والثقافة. ويكمن التقاطع بينهما في عدة نقاط:

1. تحليل النسق الثقافي: كلاهما يرى أن النصوص لا تنشأ بمعزل عن المجتمع والقوة، بل تعكس وتعيد إنتاج أنماط الهيمنة.

2. تفكيك السلطة: النقد الثقافي يكشف النسق الثقافي العام، وما بعد الكولونيالية يكشف هيمنة المستعمر واللغة والثقافة الغربية على الهوية المحلية.

3. قراءة النص بوصفه وثيقة ثقافية: بدلاً من الاقتصار على الجماليات، يُنظر إلى النص كمرآة تعكس الصراع الثقافي والسياسي.



4. تأثير السياق التاريخي: ما بعد الكولونيالية تضيف البعد التاريخي للصراع بين المستعمر والمستعمر، بينما النقد الثقافي يهتم بالأنساق الثقافية الحالية والماضية.

النقد النسوي والنقد الثقافي:

ارتبط النقد الثقافي ارتباطاً وثيقاً بتيار النسوي، إذ يشتركان في الهدف الأساسي المتمثل في كشف الأنساق الثقافية المضمرة داخل الخطاب وتحليل علاقات السلطة في المجتمع. فالنسوية تسعى إلى تفكيك الهيمنة الذكورية في النصوص والخطابات، سواء الأدبية أو الإعلامية، وهو نفس ما يركز عليه النقد الثقافي من تحليل النسق الثقافي الكامن وراء النصوص. كما أن النقد النسوي وسع مجال الدراسة ليشمل الخطابات الاجتماعية والثقافية والإعلامية، وليس فقط الأدب، وهو ما يعكس توجه النقد الثقافي في قراءة النصوص بوصفها وثائق ثقافية. ويولي النقد النسوي اهتماماً خاصاً بتمثيل المرأة في الخطاب، مستفسراً عن دورها: هل هي فاعلة أم هامشية؟، وكيف يعكس ذلك القيم الثقافية المهيمنة. بالتالي، يمكن القول إن النقد النسوي يُعد أحد تطبيقات النقد الثقافي، حيث يستخدم أدواته ومفاهيمه لكشف النسق الذكوري داخل النصوص والخطابات، وتحليل دور الثقافة في ترسيخ أو تحدي السلطة المجتمعية. وقد تمكنت التيارات النسوية أن تكون القضية الأبرز في الساحة النقدية الغربية في النصف الثاني من القرن العشرين، وبرزت مجموعة من الكاتبات اللواتي طرحن قضايا تخص المرأة والمجتمع وغيرها، منهن لين شورلر، غلبرت وغوبار وغيرها ممن سعين إلى تكوين إطار نظري لهن، ووجدن لذلك الكثير من العوائق التي يصطدمن بها مثل التراث الذي هو قضية ذكورية، وناقشت الأمر سيففاك تحت شعار أنه ثمة موروثات لا موروث واحد، وثمة ثقافات لا ثقافة واحدة وحن الوقت للمرأة الكاتبة ان تشرع بقراءة

الأخر¹⁹ ، وتطورت النسوية على يد العديد من الباحثين الرجال أيضا مثل جون ستيورات مل الذي رفض اضطهاد المرأة في كتابه الكثيرة وظهرت صفة التمرد عند فيرجينيا وولف لاحقا واميلي دكنسن والخ.

مرت النسوية هنا بالعديد من المراحل التي سعت فيها الى استعادة مكانتها داخل الثقافة والمجتمع ضد الخطاب الذكوري وضد التراث وأنساقه، انطلاقا من مجارة الرجل في الكتابة وبعدها مرحلة التمرد والحضور القوي الى ان وصلت الى مرحلة بيان خصوصيتها البيولوجية والنفسية وبالتالي اختلاف كتاباتها عن الخطاب الرجالي، مظهرة أن {الكتابة النسوية تستند الى تجربة حقيقية أو فعلية، أي أنها لا تستند إلى المأثور والمحكي فذلك قابل للزوغان والمراوغة والاحتيال ومن ثم الاندساس في الوعي النسوي ولا بد بعد ذلك من تجربة أصيلة وحقيقية تنتهي اليها}²⁰ ،

في الساحة العربية:

بية، التي حاولت

البعض عن افق جديد يتم من خلاله مواجهة الطرق والأساليب المختلفة للنظر في النصوص الأدبية وتطويرها على نحو يستجيب لمتطلبات الحداثة والنهضة الفكرية العربية، هنا يؤكد محسن جاسم الموسوي أن {قبول المثقفين العرب بالحداثة الأوروبية كان رهين نزعة دفاعية دائما، وحتى الانقطاعات المقصودة في كتابات بعض هؤلاء الذين نادوا بقطرية ما او تاريخ قديم أو عنصر مغاير للساميين العرب وجدوا كتاباتهم تقيم داخل دفاعات ومماريس تأخذ هي الأخرى ممن تنفيه وتسعى لإقصائه}²¹ ،

19 - محسن جاسم الموسوي، النظرية والنقد الثقافي، ص 75

20 - المرجع نفسه، ص 78

21 - المرجع نفسه، ص 9

وقد ظهرت جهود بعض الباحثين حاولوا الجمع بين الأدب وباقي المعارف الأخرى، مثل جهود مصطفى ناصف ومصطفى بدوي، ونصر حامد أب زيد وعزيز السيد جاسم، وغيرهم

النقد الثقافي العربي باسم إدوارد سعيد الذي دعى إلى النقد المدني الذي يتوسط المسافة بين النقد بمفهومه التقليدي الذي أطلق عليه تجاوزا النقد المؤسساتي وبين الثقافة الذي تتحدى الفعل النقدي وتضع السؤال الندي في مساءلة تشكيكية دائمة، فسعيد دعا إلى المزج بين النقد بمفهومه التقليدي والثقافة بمفهومها الأشمل من خلال الممارسة النقدية عبر استعداد الناقد لمساءلة الخطاب النقدي ذاته ما هي إلا دعوة على الانفتاح على النصوص والكتابات التي همشت قصد ادماجها في المتن الثقافي وبغية كسر الحدود القومية والعرقية وتحقيق خطاب عالمي إنساني²²،

إن إدوارد حرص على بيان دور المثقف في الساحة بشكل عام فهو مدعو {لفك المتوارث والمستهلك والنمطي وعزله داخل الاعتبار والصور والمعتقدات والأعراف كمشروع أولي لخوض الحياة المعاصرة كما هي لا كما يراد لنا أن نراها وهو انطلاقاً من ذلك يعتقد جازماً أن مشروعه لا يرد تأجيج احساس الحزن والبراءة عند المستضعفين فهو معاد لبلاغة اللوم نافيا لها لكنه لا يعتقد بوجود حدود فاصلة أو تمييزات نمطية تخلق شرقاً وغرباً فالثقافات متقاطعة متشابكة تتحدى هذا النزوع التشريحي للتقطيع والتجزئ²³، لقد خاض في مسائل عميقة منذ صدور كتابه الاستشراق وبعدها الثقافة والامبريالية الذي بحث فيه عن علاقات القوة وشروطها في ضوء تفاعلها الثقافية. كما أن إدوارد سعيد عمل على تغيير صورة الشرق التي كرسها الغرب رافضاً تلك الانطباعات والصور المتراكمة عبر التاريخ كشرق متكاسل وهواني وغريب، فالمراد بالاستشراق عند إدوارد سعيد هو هذا {التراكم الكثيف الذي أوجد شرقاً يدعو إلى الانتها السلب والاستحواذ أنه شرق بدون بشرى ووجدوا فهم من المأخذ عين

²² - بسام قطوس، مدخل إلى مناهج النقد المعاصر، ص 230

²³ - محسن جاسم الموسوي، النظرية والنقد الثقافي، ص 177

والأنذال أو النساء الغاويات والذي أوجد هذا التراكم المعرفي ليس منقطعاً عن علاقات القوة والهيمنة فكلاهما ينتميان إلى الآخر²⁴ ،

لقد دافع الغدامي عن النقد الثقافي منذ صدور كتابه الأول النقد الثقافي، وعد من أبرز النقاد العرب الذين أسهموا في ترسيخه في الفكر العربي المعاصر، إذ حاول أن ينتقل بالنقد من التركيز على جمالية النص الأدبي إلى الكشف عن الأنساق الثقافية المضمرّة التي تتحكم في إنتاج النصوص. وطرح أسئلة عميقة حول النقد والثقافة بشكل عام، فالنقد الأدبي في نظره مرّ نقلاً نوعية في مجال تنظيره النقدي منذ أطروحات ريتشارد في التعامل مع النص الأدبي بوصفه عملاً إلى رولان بارت الذي نقل الاهتمام إلى النص ووقفه على الشفرات الثقافية، وأسهمت فوكو وجهود أخرى كانت دفعة قوية إلى ما بعد النقد والحداثة، وما بعد الكولونيالية، وظهرت مشاريع متنوعة في أدوات النقد، وتمكن النقد خلالها من تجاوز الاهتمام المفرط بكل ما هو جمالي بالمفهوم الرمسي للأدب وأغفال باقي العناصر، فهو يرى أن النقد الأدبي وبفضل الحرية النوعية التي يتمتع بها أعطته حيزاً عريضاً للتحرك والتنوع في التجريب والاجتهاد ومن ثمّ نما الخطاب النقدي وتطور وتنوع وانفتح على الثقافات الأخرى منذ أرسطو الذي جعله معلماً أول لهم إلى آخر ما هو جار اليوم في الثقافة النقدية العالمية²⁵ ،

وقد قصدر القراءة الثقافية على النتاج الشعري العربي، مستلهما أفكار نيتشه، وابستهوب، وقد عمل خلالها الغدامي على النظر في التراث الشعري من حيث صلته بالثقافة المنتجة له، وبالسياق الثقافي العام، محاولاً إظهار كيف عمل النقد المؤسسي على إبعاد أنواع كثيرة من الانتاج الثقافي مثل القصص الشعبية ونصوص ألف ليلة وولية والنوادر والسير والالغاز وغيرها، وبقي النقد القديم يدور في ظل القيم

²⁴ - محسن جاسم الموسوي، النظرية والنقد الثقافي، ص 179

²⁵ - المرجع نفسه، ص 71.

الذوقية التي جعلت من بعض الشعراء فحولاً ومن بعضهم الآخر خصياناً وأدى ذلك على المدى التاريخي لهيمنة مقاييس نقدية ومعايير أخلاقية أدت إلى انحطاط الشعر والذوق²⁶ ،

فالغذامي يرى أن النقد الثقافي هو بديل منهجي للنقد الأدبي التقليدي؛ فبدل أن يكتفي الناقد بتحليل البلاغة والأسلوب والصورة الفنية، يسعى إلى كشف الأنساق الثقافية المضمرة داخل النص، أي



تلك الأفكار والقيم التي يمررها الخطاب دون وعي، ان النقد الثقافي يعتبر { فرع من فروع النقد النصي، إنه فرع من فروع علم اللغة أو أحد حقول الألسنية لأنه معني بنقد الأنساق المضمرة التي ينطوي عليها الخطاب الثقافي بتجلياته كلها وأنماطه وصيغته المتعددة}²⁷ ،

وضمن مشروعه النقدي سبعة عناصر²⁸ ، قدم عبد الله الغذامي في مشروعه حول النقد الثقافي: قراءة في الأنساق الثقافية العربية مجموعة من العناصر أو المفاهيم الأساسية التي

يعتمد عليها النقد الثقافي في تحليل الخطاب وكشف الأنساق المضمرة. ومن أهم العناصر السبعة التي تحدث عنها²⁹ ،:

²⁶ -أنظر ابراهيم محمود خليل، النقد الأدبي الحديث ، ص140

²⁷ - المرجع نفسه، ص138،

²⁸ - عبد الله الغذامي، عبد النبي اصطيف، نقد ثقافي أم نقد أدبي، ص25.

²⁹ - عبد الله الغذامي، النقد الثقافي ، قراءة في الأنساق الثقافية. ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء/المغرب، 2008، ص63

1. المجاز الكلي وهو الانتقال من دراسة المجاز البلاغي الصغير إلى النظر في المجاز الثقافي الواسع الذي يعكس رؤية المجتمع وقيمه، فهو لا يقف عند حدود اللفظة والجمله، بل يتسع ليشمل الأبعاد النسقية في الخطاب وفي أفعال الاستقبال³⁰،
2. النسق الثقافي: ويقصد به النظام الخفي من القيم والأفكار الذي يتحكم في إنتاج الخطاب ويؤثر في تلقيه داخل المجتمع.
3. الجملة الثقافية: وهي العبارة أو الخطاب الذي يحمل دلالة ثقافية تتجاوز المعنى اللغوي المباشر.
4. المؤلف المزدوج: أي أن النص لا ينتجه الكاتب وحده، بل تشارك الثقافة والمجتمع في تشكيله.
5. القارئ الثقافي: وهو القارئ الذي لا يكتفي بفهم المعنى الظاهر للنص، بل يحاول كشف الأنساق الثقافية المضمرة فيه.
6. التورية الثقافية وهي وجود معنى خفي ثقافي خلف المعنى الظاهر في الخطاب، وهذا ما قصده الغدامي بيقوله: ينطوي على بعدين أحدهما مضمرة ولا شعوري، ليس في وعي المؤلف ولا في وعي القارئ هو مضمرة نسقي ثقافي لم يكتبه كاتب فرد ولكنه انوجد عبر عمليات من التراكم والتواتر حتى صار عنصراً نسقياً يتلبس الخطاب ورعية الخطاب من مؤلفين وقراء³¹،
7. الوظيفة النسقية للنص: والتي تضاف الى باقي وظائف اللغة الستة، أي أن النص يؤدي دوراً في إعادة إنتاج النسق الثقافي وترسيخه داخل المجتمع، وهي الطرح الذي يحول النقد الى معناه الثقافي،

وفرق الغدامي بين النقد الأدبي والنقد الثقافي مؤكداً أن النقد الأدبي تعامل مع أسئلة النص الجمالية التي ظل يحرسها النقاد على مر العصور، حتى تحولت الأدبية الى مؤسسة ثقافية تعاليمية وطبقية

³⁰ - عبد الله الغدامي، النقد الثقافي، قراءة في الأنساق الثقافية، ص 69

³¹ - المرجع نفسه، ص 71

واحتكر الشرط الابداعي حسب شرط المؤسسة الأدبية وتم تصنيف الذوق والتحكم في الاستقبال ومن ثم الانتاج³² ، على غرار النقد الثقافي الذي وجه أسئلته نح سؤال انسق والمضمر والاستهلاك الجماهيري. ومع ذلك يرفض امكانية استغناء النقد الثقافي عن النقد الأدبي فكل منهما شأن يغنيه محكوم بالنص الذي يملي على الدارس قواعد درسه.

إن النقد الثقافي لا يعني تمرينا اعتياديا وتجريبيا في القراءة انه ممارسة مرهونة بالوعي او فنقل انهما يشدان من ازرو واحهما الاخر يتعاضدان لبلوغ ما نحن بصددده³³ ، واليوم المجتمع العربي الذي وجد نفسه كأقلية تستهلك الثقافة الطاغية فان لا بد لها ان تعي موقعها اليوم، وان تعترف بالطاقات الواعدة لدى الافراد داخل هذه الجماعات، لذا فالنقد الثقافي يقادر على ان يقوم بتفعيل الوعي داخل المجتمع

³² - عبد الله الغدامي، عبد النبي اصطيف، نقد ثقافي أم نقد أدبي، ص 35

³³ - محسن جاسم الموسوي، النظرية والنقد الثقافي، ص 195